الإمامُ الشَّيخ عُمَرُ المِحضار

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث

الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

سلسلة أعلام حضرموت ١٠

الإمام الشيخ عمر المحضار

(ت ٨٣٣ هـ)

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنّا أَعْطَيناكَ الكَوْثَر . فصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر﴾

الإهداء

إلى شُيُوخي الأفاضِل..

بَقِيَّةِ السّلَف...

وأمثلة الطريقِ في الخَلف..

وإلى المَتَطَلِّعينَ إلى مَعْرِفَة الرِّجَالِ الجَامعينَ بين السُّلطَةِ الرّوحيّة الظَاهِرةِ والبَاطنةِ في مَدْرَسَةِ حَضرَموت..

وإلى الرّاغبينَ في التَعرُّف على نمَاذجِ «السّفينةِ التي مَن رَكِبها نَجَا، ومَن تخلّف عنها هَلَكَ»..

المؤلّف

شاهد الحال

((لو شِئْتُ أَنْ أُمْلِيَ مِن تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ ما يُوْقِرُ أَلْفَ بَعِيرٍ لَفَعَلْتُ)) .

الشيخ عمر المحضار

سلسلة النسب الشريف

محمد رسول الله صلى اللّه عليه وآله وسلـــم

علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام

الحسين السبط

علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد

عيسى

أحمد المهاجر

عبيداللّه

علوي

محمد

علوي

علي خالع قسم

محمد صاحب مرباط

علي

محمد الفقيه المقدم

علوي الغيور

محمد مولى الدويلة

عبدالرحمن السقاف

(**الشيخ عمر المحضار**)

مريم علوية عائشة فاطمة

المدخل

الحمد للّه ومنه الكثير الطيب، ﴿والبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيّدنا محمّد الأب الصادق، والعلم السّامق، الذي أذن اللّه لورّاثه بالمقام الباسق، وجعلهم في كل عصرٍ ما بين قائم وناطق، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار.

وبعدُ فَأَزُفُّ إلى القراء الكرام أنموذجاً جديداً من نماذج مدرسة حضرموت، ربما كان هذا النموذج يحمل تفرداتٍ لم تؤلف لدى أسلافه، ومواقف لم تكن لخلافه، ولكنّها تُبْرِزُ للمتَأَمِّل ما يهيئه اللّه بأسباب التنشئة والتربية الموجهة على أيدي الآباء الصالحين والأمهات الصالحات، من بناء دفعات الرجولة في الرجال، فيُنَشَّؤُون متَطَلّعين إلى التّرقي في أوج الكمال، يحملون في صدورهم المسؤوليات بكل معانيها، مسؤولياهم مع رهم وخالقهم، وهي مصدر الإمداد والاستمداد، ثم مسؤولياهم في بناء الواقع، المستثمرين أسبابه وظروفه ورصّ صفوف أعضائه وأسرته رصّاً يبرز معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾ ، وهذا الإمام الفَذُّ كان حاله في هذه المواقف كحال المتفردين من سلسلة آبائه

كالـمهاجر والفقيه، ذو إحساس بالـمسؤولية وقائم ببنائها ورعايتها مع طول صبر وجلال قدر وثاقب رؤية وعظمة مواقف ونورانية حال.

وحتى لا يطول بالقارئ الوصف أنقلُه إلى الواقع ذاته ليرى من خلال مرحلة النمو والتنشئة، كيف كان منهج التربية الأبوية لهذه المدرسة، وأن فقدان هذه النماذج كان من أهم أسبابه فقدان المنهج التربوي ذاته، ولله في خلقه شؤون، إنما أمره إذا أراد شيئاً، أن يقول له كن فيكون، ومنه المدد والعون وعليه التكلان في كل حال.

التعريف بالشخصية

هو السيد الشريف، والعلم الشامخ المنيف، الحائز على رتبة المشيخَة الكاملَة، والـمشهود له من شيوخ مصره وعصره بالصدارة الباطنة والظاهرة، والـمتقدم حسّاً ومعنى في كلّ علم وفنّ وذوق ومعرفة في عصره، الولي حقّا ابن الولي، والعالم ابن العالم، والوارث ابن الوارث، الناشئ بجدارة الوصف منذ نعومة الأظفار على كتاب الله وسنة النبي المختار، متدرجاً ومتناميا حتى بلغ مدلول الوصف بالـمحضار.

ميلاده ونشأته

ولد بحرم الإقليم، مدينة التربية الأبوية والتعليم مدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، ونشأ مع إخوته الأبرار تحت رعاية الأبوة الصالحة والتربية الروحية الطافحة بهجةً ونورانيةً وتفاعلاً مع بركات الوقت ليل نهار، واستنفاراً واعياً لدقائق اللحظات في المسجد والطريق والدار.

وليست هذه مبالغة في وصف الحال أو إفراطاً، وإنما هي بعض محاولة المتتبع حقائق الوصف مع بعض التجاوز والاحتياط، فالتربية الأبوية لا تقف عند باب مدرسة ولا عند علاقة معلم أو مدرس، فالآباء المربون قد جعلوا كل أسباب حياتهم مدرسة، وما الكتابة والقراءة فيها إلا جزء من أجزاء المعرفة العلمية العملية الشاملة، فالناشئ يعي آثار القرآن وسر معانيه مقروناً بالخشية والتعظيم قبل سن التربية والتعليم، يوقظه من الليل نشيجُ التلاوة للقرآن، ويبهره نور الوجوه المنعمة بالإيمان، تنطلق منها طاقات النور إلى القلوب الفتية، فتحدث فيها شوقاً ولهفاً إلى فطرة اللّه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّه.

وما أَنِ استقامتِ الأقدام، ليسير عليها الناشئ عاماً بعد عام؛ إلا وقد أَلِفَتْ طريقَ المساجد والمعاهد وحركة العلماء والأولياء من قائم وقاعد وراكع وساجد، وإذا ما الْتَفَتَ الطفلُ إلى ما لا يليق وجَد الواقع كلَّه يدلُّه على الطريق، فلا يجد غير الاستقامة، ولا يسمع في المحيط غير أخبار السلامة في دار الدنيا ودار المقامة، ومن هنا تبدأ الوجهة.

وكان الشيخ عبد الرحمن السقاف ينظر إلى ولده المحضار بعين الرعاية الكلية، حتى صار بذلك محتذياً سَنَنَ أبيه في كافة مقاصده وعباداته وعاداته ومراميه، وقد اختار له من الشيوخ أطوادَ الزمان، ومن المؤدبين والمعلمين الأراكين، فنال منهم منالاً عظيماً في كافة العلوم، وكان من جميل حظه قوة إدراكه وسرعة حفظه، حتى ورد عنه أنه استظهر « منهاج الطالبين » في باكورة طلبه.

ومن أجل مشايخه في العلوم وتحقيق الفهوم بعد والده الشيخ العلامة الفقيه أبوبكر بن محمد بلحاج بافضل[1] ومن في مرتبته،

---

(١) الشيخ أبوبكر بن محمد بلحاج بافضل المذحجي ثم السعدي نسبة إلى قبيلة مَذْحِجٍ القحطانية الشهيرة، والسعدي نسبة إلى سعد العشيرة بن مذحج، وهو من آل بافضل، وهم المشايخ المشهورون بالعلم والتقى والصلاح منذ أجيال مضت،

حتى حقق علوم عصره وصحب جملة من أهل التجريد والتصوف فانتفع بهم.

مجاهداته ورياضاته

عُرِفَ الشيخُ عمرُ المحضار بقوة العزم ومضاءِ العزيمة من صباه، وكانت كُلَيْماتُ والده المربي الشيخ عبدالرحمن السقاف تَشُقُّ شغاف قلبه إذا ما أَنَّبَهُ أو عاتبه ليقيم نفسه على طريق المجاهدة، فقد ورد في « الجوهر الشفاف » الحكاية الثامنة والخمسون بعد المئتين من مناقب السقاف قال: عن شيخنا الشيخ عمر ابن شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه تعالى عنهما قال: ذُكِرَ في مجلس والدي رضي اللّه عنه أنّ فقيهاً أراد أن يبول مستقبل القبلة، فذكر أن استقبالها بالبول حرام فأراد أن يستدبرها، فذكر أن استدبارها بالبول حرام، فمال إلى جانب آخر وبال فغفر له بذلك، فأردتُ أن أَقْرَأَ من العلم الشرعي من يوم أصبحتُ، وكنتُ في أُخْرَيَاتِ الناس، فلما انفض المجلس وذهبَ الناس قام والدي رضي اللّه عنه من

ترجم له الشيخ محمد بن عوض بافضل في كتابه « صلة الأهل في مناقب آل أبي فضل » .

مجلسه ثـــم أتى إليّ وقال: يا عمر.. افحق بعابعك[1].. إن الفقهاء ما معهم إلا قبس، والصوفية معهم جذوة من نار، وقال لي أيـــضاً: وأوقية من عمل الباطن تعدل ببهار من عمل الظاهر.

وورد أيضاً في « الجوهر الشفاف » في الحكاية التاسعة والخمسين بعد المئتين قال: عن شيخنا الشيخ عمر رضي اللّه تعالى عنه قـــال: ذُكِر الحلاج في مجلس والدي رضي اللّه عنه، وأطنب في ذكـــره، فقلتُ في نفسي: ليتَ مَن هُو مثله، فالتفت إليّ والدي حين خطـــر ببالي ذلك وقال لي: إن الحلاج ما يعجبه لعب الخَـــط[2]، وكـــان

(١) قال مؤلف « الجوهر » (٢: ١٨): وقوله: افحق بعابعك، أي: اجتهـــد اجتـــهادا شديداً، يكنى بها عن سرعة الحث في السير حتى تنال مرادك.

ويستفاد من إشارة الشيخ عبدالرحمن السقاف لولده أن الطريق الـــتي أســـير عليها وأسيّرك فيها من التربية والتسليك العلـــمي العملي أقوى وأسرع ممـــا دار بخلدك وجال في فكرك، وهذا ما تؤكده الحكاية التي تليها، لاحظ.

(٢) لعب الخط نوع من الألعاب الشعبية للأطفال، يخطون خطاً أو خطوطـــاً علـــى الأرض ويقفزونها بمقاييس وتراتيب معروفة، وهنا يلاحظ الأســـلوب الأبـــوي في التربية، حيث لـــم يشتغل الشيخ عبدالرحمن بمنع ولده عن اللعـــب رأســـاً، لأن اللعب للطفل مطلب ذاتي، فتركه يمارس هوايته، حتى إذا مـــا حانـــت الفرصـــة للـــملاحظة من خلال ملاحظة الأب استعدادات الابن وتيقظ حواسه للإعجاب بالشخصيات المذكورة قرع الأب مسمع الابن بالكلـــمة الـــتي انتظـــر طـــويلاً

الشيخ عمر إذ ذاك يعجبه لعب الخط ولم يدخل بعد في طريق القوم، فأراده والده أن يرتدع عن اللعب بالخط وينقلب إلى المجاهدة ليصير من أهل المعاني الفاخرة، فارتدع عن اللعب وكان من أمره ما كان[1].

قال مؤلف « الجوهر » معلقاً على مراد الشيخ عبدالرحمن السقاف حول قوله: (أوقية من عمل الباطن تعدل ببهار من عمل الظاهر): يعني بالباطن هنا معاملات القلب من المراقبة والحضور وغيرهما، وعمل الظاهر الجوارح، يعني أن قليلاً من عمل القلب يعدل بكثير من عمل الجوارح، ولا يَظُنُّ ظانٌّ أنّ الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه تعالى عنه قال ذلك وهو مستخف بالعلم الشرعي أو جاهل بفضله، كلا بل هو أعلم العلماء بفضله الشريف ومكانه المنيف؛ ولكنه يعلم أن العلم الباطن -وهو العلم

موقعها، فربط بين اللعب وبين التحول إلى بناء الشخصية، فالتقطت العبارة أحاسيس الابن المتيقظ المتطلع وهو بعد لم يلتحق بركب المجاهدة، فبدأ يقرر الابتعاد عن اللعب، وهذا الترك موقف مجاهدة يوازي الفعل لمثلها من المجاهدات عند أهل الطريق.

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٩) .

باللّه تعالى- أفضل منه وأعلى، واطّلع[1] على أنّ ابنه الشيخ عمر رضي اللّه عنه من أهل ذلك العلم العالي المرتفع الغالي، أعني العلم الباطن، فلذلك أغراه به حتى قصد نحوه وعلا في رحابه وصار إلى ما صار إليه رضي اللّه تعالى عنهما[2].

ومن هنا بدأ طريق التربية النفسية أو ما تسمى بالمجاهدة، وقد ارتقى الشيخ عمر المحضار فيها مرتقىً صعباً، كتب السيد صالح الحامد في «تاريخ حضرموت» [3]: كان للمحضار في أول الأمر مجاهدات عظيمة لا يكاد العقل المجرّد يقبلها لولا الشواهد وروايات الثقات.

وتتركز جل هذه الاهتمامات في قهر النفس وتهذيبها وإخراجها عن دائرة النزعات والرغبات المألوفة، وهذا من التأديب القرآني في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها﴾ ، والتزكية والتطهير مرتبةٌ، وما كان لنفس أن تتطهر من أدرانها ورغباتها من

---

(١) قوله: اطلع، أي: تفرس في استعدادات ولده فأدرك الفطرة التي تتحرك في باطنه، ويمانع ظاهره عنها حينا، فدفع به من خلال التوجيه ليتغلب على رعونة الظاهر ويبرز الإحساس الكامن في باطنه، وهكذا كان.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

غير قمع لشهواتها ورعوناتها، وقد تـــمكن الشيخ عمر بـــالتوفيق الإلهي والتوجيه الأبوي والاستعداد الفطري والبيئـــة الملائمـــة أن ينخلع عن كافة شهوات النفس وأطماعها وترك الحـــلال الجـــائز فضلاً عن المشبوه والـــمختلف عليه، بل كان يُدرّب نفسه علـــى الاصطبار عن شهوة الطعام الليالي العديدة والأيام ويكتفي بالشيء اليسير من اللبن والـــماء، وأُثر عنه في أول مجاهداته أنه ربما أخـــذ الرطبة أو التـــمرة يقلبها بيده ثـــم يعطيها غيره، فلـــما سئل عن ذلك قال: لأن التـــمر أحب الشهوات إلى نفسي، وهذا المجال من المخالفة للنفس كان أثراً من آثار التربية النفسية الصوفية، وخاصـــة بعد التَّأَثُّر بكتب الأئمة الأعلام من رجال علـــم النفس الإسلامي أمثال الشيخ أبي طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » والـــشيخ حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » .

ورد في « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٦ – ١٨٧) عن المجاهدات قول المؤلف: وكان في بدوّه رضي اللّه عنه شديد المجاهـــدة كـــثير العطش والجوع شديد المخالفة للنفس والـــمحاسبة لها، ويمكـــث زماناً طويلاً لا يأكل شيئاً إلاّ قليل سمن أو قليل لبن، ومكث زماناً لا يدخل حنجرته شيء حتى يبست، فذهب إلى أخته مريم فأرادت

أن تسقيه ماء فلم يدخل الماء في حنجرته من يبوستها، فَليَّنتْها بشربِ السمن قليلاً حتى لانتْ ثم شرب الماء، ولم يزل في شدة المجاهدة حتى ظهر عليه أثرها، وكان يُرى جسده كأنه جسد عليل، ومكث لا يأكل التمر نحو ثلاثين سنة[1].

---

(١) هذه المجاهدات هي مدرسة السلوك التي رضيها الآباء لأنفسهم، فجنوا ثمراها، فبقيت آثار مجاهداتهم خبراً يروى، وأما جيلنا الحاضر فنصيبه من هذه المراتب الاستغراب إن لم يكن الانتقاد، ومن المنتقدين قوم جعلوا الدين حجة لمواقفهم لا لخدمته، وإنما لتبرير عجزهم الواضح عن الابتعاد عن الحرام الصرف والتعامل به فضلاً عن الحلال، فيقولون: إن ما تسمونه مجاهدات إنما هو تعذيب للنفس، وهذا ليس من الإسلام، وإنما هو من رياضات الهندوس والبوذية، أما الإسلام فقد أحل الطيبات وأجاز لنا أن نأكل ونشرب من غير إسراف.

وخلاصة القول أننا أمام مدرسة إسلامية تربوية كان عليها الأوائل، أساس اقتباسها في المجاهدة والمكابدة من السنة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الذي كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع اختياراً، وإذا كشف الصحابة عن حجر كشف عن حجرين..إلخ.

وأما حالنا نحن المتأخرون فأعتقد أن مجاهدتنا سترقى مرقىً حسناً إذا نحن تحرينا أكل الحلال في هذا العصر وتجنبنا الشبه والحرام، وقمنا بالواجبات وما تيسر من النوافل، وكفى.

ثمرات المجاهدة

قال صاحب « الجوهر الشفاف » عن الشيخ عمـــر المحـــضار: ولـــم يزل على تلك المجاهدة حتى صدقه اللّه وعده، حيـــث قـــال وهو أصدق القائلين: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وإِنَّ اللّه لـــمعَ المحْسِنِين﴾، وأمطر عليه مزنُ منّه بمنائح سنيات مواهبه ودرر عجائب يواقيت مكنونه وغوامض علوم شرائعه وعرفانه، فكان من غزارة علـــمه يقصده الفقهاء يتعنّتونه بما يلقي إليهم مـــن نـــوادر العلوم الشرعية ولوامع الأبكار اللدنيّة، ويحضرون كثيراً عند عقـــد مجلسه ويتبركون بزيارته ويستفيدون كثيراً من علومه ويسألونه عن المسائل الفقهية الدقيقة فيجيبهم بالأجوبة الغريبة الفائقـــة اللطيفـــة والعبارات الرائقة، منها ما يفهمونها ومنها ما تكل أفهـــامهم عـــن معرفتها، ويسألهم عن مسائل فمنها ما يفهمون جوابها ومنها مـــا يعجزون عنه، فيقولون له: يا شيخ نحن قد قرأنا في كتـــب كـــثيرة ولـــم نطلع على هذه العلوم التي تذكرها وأنت لـــم نرك تطـــالع في شيء من الكتب، فمن أين لك هذه العلوم؟ فقال: أنتـــم معكم مفاتيحُ، فما تدخلون البيوت إلا من أبوابها، وأما نحـــن فنتـــسور

الجدرات[1].

ويقصد بذلك أن علمكم مقيد بنصوص الكتب وتقليد أهلها حتى في الإشكالات، أما نحن فعُلِّمنا علماً لدنّياً من جنس الحكمة التي قال اللّه تعالى فيها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقَدْ أُوتِيَ خَيراً كثيراً﴾.

ويؤيد هذا ما أورده أيضاً « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٨) قال: وحضر مجلسه يوماً الفقيه العلامةُ الزاهد العالم الكاملُ الذكيُّ الوفيُّ محمد بن حكم بن أبي قشير رضي اللّه عنه، فتكلم الشيخ بالعلوم اللدنّية وعبر عما تكلم فيه بالعبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة حتى أبهر الفقيه ذلك، فقال له: يا شيخ عمر نحن نقرأ في الكتب ولم نطلع على شيء من هذا، وأنت لم تقرأ في شيء منهن، فمن أين لك هذه؟ فقال: هذا جينا به من فوق[2] .

واجتمع الشيخ عمر رضي اللّه تعالى عنه مرة عند قبر النبي هود[3] على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ببعض السائحين

---

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٨).

(٢) المصدر السابق .

(٣) ورد عن الأوائل والأواخر بالتواتر من نقل الأخبار وما ورد في بعض الآثار على

المجتهدين، وكان ذلك السيّاح عالــماً بكثير من العلوم في الطريقة والحقيقة والطب وغير ذلك من العلوم، فجعل الشيخ عمر يــسأله عن مسائل كثيرة وكلــما سأله مسألة أجاب عنــها، ثـــم إن الشيخ أورد عليه مسائل حيرته وأدهشته، فمن جملة ما قـــال لـــه: أتدري لـــم سمي الفؤاد فؤاداً، إنما سمي فؤاداً لأن فيه ألف واد وفي كل واد منها ألف واد، وأراد أن يشرح لـــه شـــيئاً مـــن العلـــوم فانـــزعج ذلك السائح واندهش وارتعش واحمّر لونـــه وارتعـــدت فرائصه وبهت، فقام وقال: أستغفر اللّه، فقال الشيخ عمـــر كأنـــه تخمّج بحرك، وأما نحن فما بعد خرج من بحرنا قطرة، وأراده يثبت

وجود قبر سيدنا هود عليه السلام في تلك الناحية، واختلف العلـــماء في ذلـــك اختلافاً كثيراً، والهدف الأساسي الذي كان السلف يرغبونه في هذا الموطن هـــو الخلوة والتفرغ للتعبد، إذ إن خروجهم إلى « ناحية الـــشعب » صـــار تقليـــداً لـــمدرسة حضرموت، ومسألة الخلاف حول موقع القـــبر ترجـــع إلى البحـــث العلـــمي والتاريخي، وإن كان سلفنا الصالح قد تيقنوا من أن تلك المنطقـــة هـــي «موقع قبر نبي اللّه هود» ولا يوجد لديهم خلاف في ذلك، ولكن القول الفـــصل لـــمن أراد التيقن إن كانت هناك حاجة للجدل والـــمماحكة في «موقع القـــبر» فالأمر يرضخ للبحث العلـــمي والتاريخي المستقبلي، وأما تقليد وترتيب وعادات السلف فلا علاقة لها بعين الخلاف ذاته، وإنما هو تقليد مدرسة واختيارات رجالها.

لـــمناقشته، فقال: يا سيدي، أستغفر اللّه، أنا ضيفكم، أنا علـــى فراشكم، فقال الشيخ: مرحباً بك، وسكت عن مخاطبته.

قال مؤلف « الجوهر » : حضرت يوماً مجلس شيخنا الشيخ عمر رضي اللّه عنه وعبداللّه ابن الفقيه علي بن أبي حرمي يقـــرأ علـــى الشيخ تفسير القرآن العظيم للسُّلـــمي والشيخ يشرح له، كلـــما قرأ عليه شرح شرحاً فائقاً، ثـــم قال الشيخ رضي اللّه عنه في أثناء كلامه: الصالحون إذا قرؤوا القرآن أَفْنَوُا الحـــروفَ ثـــــم أَفْنَـــوُا الصوتَ ثـــم يتبعون بعد ذلك في بحر ثـــم يضمحل ذلك البحـــر ويبقون معلقين[1]، ثـــم قال الشيخ: ونحن ندخل هكذا أو في هذا عندما نقرأ ﴿ما نَنْسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنْسِها﴾ ونبقـــى مُعَلَّقِـــينَ بعـــد اضمحلال.

وكان رضي اللّه عنه صاحب غوص في الفكـــر وتـــدقيق فيـــه ومعرفة في أسرار الحكمة الملكوتية، وكان مع ذلك شديد الخـــوف غاية الشدّة حتى إنه كان كثيراً ما يقول: وَدِدْتُ أنيّ أكونُ حيوانـــاً يُذبح ويؤكل. وكثيراً ما يقول: لو عَلِـــمتُ أنّ لي عند اللّه تسبيحةً

(١) النص المذكور في « الجوهر » : (ويبقون معلقين في الهواء)، يعـــني: مـــع الهيبـــة والتعظيم.

مقبولةً أو حسنةً لأَقْرَيْتُ -أي: أطعمتُ- أهلَ تريم على البُرِّ واللحمِ حتى دوابّهم[1] .

رحلته في طلب العلم

رحل الشيخ عمر المحضار في سبيل الطلب والانتفاع بالعلماء رحلات عديدة سواء في حضرموت أو جهات اليمن أو إلى الحجاز، واتصل في كافة رحلاته بأفاضل العلماء والمشايخ، وأخذ الأسانيد العالية عن أربابها، وأظهره اللّه في محافل الشيوخ إظهاراً يليق بحاله.

قال صاحب « الجوهر »[2]: عن شيخنا الشيخ العارف باللّه تعالى عمر ابن شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه قال: كنت في مكة سنةَ حججتُ فجاء إليّ بعضُ المشايخ وأخذ بيدي وقال لي: أنت ابن السقاف، قلت: نعم، ثم التفتَ إلى أصحابه وقال لهم: والد هذا في حضرموتَ يُغطّي على نفسه حتى لا يظهر منه شيء، واشْهَدُوا عليّ أن والد هذا يحضر عندنا في الحضرات فنقع

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٩).

(٢) المصدر السابق، وكان حج الشيخ عمر المحضار سنة ٨٠٦ رضي اللّه عنه.

عنده كالضأن وهو فينا كالأسد، ما نخافه إلا يفترسنا وما نستريح إلا بعد ما يروح عنا.

وقد ذكرتِ التراجمُ أن الشيخ عمراً المحضار قد حقق علوم عصره واعتنى بكافة مراتب المعرفة المتداولة آنذاك، وزاد تحقيقه لجملة من العلوم والكتب «كالمنهاج» ، و«التنبيه» في الفقه لكثرة مطالعته ومراجعته مع طلبة العلم، و«الإحياء» ، وكان قد بدأ تداوله والقراءة فيه، و«تفسير السُّلَميّ» حتى كاد أن يحفظه من كثرة مطالعته وتكرار قراءته.

ورود الأحوال وارتقاء المقامات

من ثمرات الاستغراق في الشيء التفاعل معه والتأثر به وورود التجاذب النفسي منه وإليه، وهؤلاء الشيوخ امتزجت أرواحهم بالقرآن وتلاوته والطاعة ومجاهداتها وتربية النفس وتزكيتها، فجنوا ثمار ذلك استغراقا في بدائل الحال، فعندما يتجاوز المرء حالاً معيناً إلى آخر يحصل له به استقرار يسمى مقاماً، ومن صفات أحوال الصالحين أنها ناتجة عن ترويض النفوس فتسبب إشراقاً معنوياً يؤدي إلى رضاءٍ باللّه وفرحٍ به واستئناسٍ بذكره وشكره وحسن

عبارته، ووله واستهتار في الشوق لمراضيه، وبعد وتجنب لدناءات النفوس البشرية.

ولما كان الشيخ عمر المحضار تحت رعاية تربويّة مخصوصة شأنُهُ شأنُ إخوته تحت رعاية والده فالأحوال والتحول أمرٌ بديهيٌّ في تطور الحياة التربوية الأبويّة، وهاهو ذاته يقول: أول ما ظهرتْ عليّ الأحوال سنة ٨٠٨ في حياة والدي، ويقول في أثر التربية وملاحظة الشيوخ على بناء الروح واستقامة النفس: (أُعْطِيتُ ثلاثةَ أيادي: يداً من النبي صلى اللّه عليه وسلم ويداً من والدي ويداً من رجل آخر) ، والرجل الآخر لاشك أنه أحد شيوخه الأفذاذ الذين تأثر بهم.

وفي معرض التحدث بالنعمة من الأب المربي الشيخ عبدالرحمن السقاف عندما رأى ثمرة تربيته في ولده قد أنبعت قال: وجدنا مع عمر شيئاً ما كنّا نظنّ أنه معه.

ظهوره وأعماله الجليلة

كان أول بروز الشيخ عمر المحضار من خلال مجاهداته الطويلة واشتهاره بذلك، ثم بتصدّره للتدريس مبكراً ونشر حقائق العلوم من

لسانه الشريفه واحتشاد العلــماء والفقهاء لسماع تقريراته الفائقة وتعبيراته الرائقة، وما أجراه اللّه على يديه من خوارق العادة، قــال صاحب « الجوهر » معبراً عن مرحلة ظهوره وبروز مرتبة أحوالــه:
وكان رضي اللّه عنه من كبار جهابذة المشايخ الأعــلام العــارفين ورؤساء الصفوة المحققين، كثير الخوارق والكرامات والــمكاشفات عن الحقائق والآيات، والقدم الراسخ في معرفة الأســرار المغيّبــات والبصائر البواهي المشرقات، والإشارات النورانيــات والنفحــات الإلهيات والأســرار الملكوتيــات والـــمحاضرات القدســيات والتــمكين المكين والتصريف النافذ في الوجــود، والــمــشرب العذب مَنْ سَلْسَبِيلِ فيضِ الفضل، أجمع على إجلاله وإعظامه الأنام وانتفع به الخاص والعام، ونــزلت بفنائه الركائب وسارت الركبان من كل فج عميق.

قال فيه صاحب « الغرر » ص١٩٥:

رَعَتْهُ أَكُفٌّ مِــن عنايــةِ رَبِّــهِ فللْخَلْقِ هادٍ ثــم باللّــه مُهْتَــدِ
رَضِيعُ لُبانــاتِ المحَبَّــة مُرْشِــدٌ لِحَيرانَ في بحرٍ من التَّيْــهِ مُزبِــدِ
يقوم الدياجي في الهواجر صــائمٌ وللذكرِ يَتْلُوهُ ببيــتٍ ومــسجدِ
مُرَبٍّ لِـــسُلاَّكِ الطريــقِ بحالــه وأربابُ أنوارِ الحقيقــةِ تهتــدي

علا فاعتلى عالي المقامات في العلا معانيه أَعْيا فَهْمُها كُلَّ مُرْشِدِ
جَلاليٌّ أحوالٍ وشَيْخٌ مُسَدَّدٌ مُنَاظِرُهُ في العِلْم يُضْحِي كَابْلَدِ
رَؤُوفٌ عَطُوفٌ للخلائقِ رَحْمَةٌ شريفٌ عفيفٌ عارفٌ بتأَكُّدِ
لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو بحسنِ عزيمةٍ لأعلى مقامٍ قد علا بَتَعبُّدِ

هذا هو الشيخ عمر المحضار بشهادة معاصريه كصاحب «الجوهر» ومن جاء من بعدهم كصاحب « الغرر » ، أجمعت دوائر العلم والولاية والمشيخة أنه ربها وصاحبها، فكان نفع اللّه به خير قائم بها وأفضل راع لها مدة حياته، وقد كان ساداتنا آل البيت النبوي من سلالة آل أبي علوي يتميزون عن كثير من أشباههم وأمثالهم بالجمع بين الاعتناء الكلّي بالدين وقواعده وبين اتخاذ الأسباب، وخاصة عند بروزهم في مواقع التأثير وبدء تحمل مسؤوليات الطريق وخدمة الأمة ورعاية مصالح الخواص والعوام.

فما كان من الشيخ عمر المحضار إلا أن جال بفكره وعقله لوضع قواعد الحياة الاقتصادية وترتيب عائدات الموارد المادّية، سواء في تريم ونواحيها حيث موقع مظهره ومخبر جوهره، أو في مناطق الساحل التي كان يتعهدها كالشحر والمكلاّ والغيل وغيرها من الأماكن.

بل ذكرت التراجم أنه كان في هذه المرحلة أكثر السادة بني علوي أملاكاً وامتلاكاً للأرض ورعايةً لزرعها وغرس نخيلها ومتابعة ثمراتها، ورتب في ناحية الساحل عدداً من السفن الشراعية للعمل في صيد السمك على أن تكون عائداتها للمصالح المرتبة في العلم والدعوة إلى اللّه وإعانة الفقراء والمعاويز.

وظهر له شأنٌ ومقامٌ من خلال انتشار سمعته في الآفاق، فكانت تُرْسَلُ إليه الأموال الكثيرة فيصرفها في المصارف المحمودة، فقد ذكرت كتب التراجم أنه كان ينفق على غالب بيوت الأشراف، ويؤثرهم بالأفضل المأكل والمطعم، ويتعهد الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، ويكرم الوافدين من الغرباء وطلاب العلم والسائحين للعبادة، حتى إن بعضاً من أقاربه وذويه لامه لوماً شديداً على كثرة إنفاقه فأجابه بقوله: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وما عِنْدَ اللّه باقٍ﴾.

ومن مآثره في هذه المرحلة عمارته للمساجد، ومنها مسجده المعروف بتريم[1]، بناه وأوقف عليه نخلاً وعقاراً ومصالح جمة، كما بنى مسجداً آخر في نواحي الشحر بقرية تسمى «عرف»، وله

---

(١) عن «نبذة عن جامع المحضار بتريم».

هناك بها حوطة معمورة وأوقاف ومقام إلى اليوم[1].

جاء في « الغرر » ص ٤٠٤: وكان الشيخ عمر قد حوط حوطاً كثيرة، فحوّل الشحر ثلاث حوط، ومنها حوطة « واسط » بنواحي الشحر.

ومن أعماله العظيمة في مرحلة تصدره وظهوره قدرته على جمع إخوانه السادة بني علوي تحت إطار التآخي والتآزر في ذات اللّـه، ودعاهم لأول مرة إلى إقامة شكل من أشكال العمل المنظم الموثق بإقامة « النقابة » ، ووقع معهم وثيقةً خطّيةً معمَّدَةً من الدولة آنذاك، قَوامها التكاتف والتعاون المشترك في إعلاء كلمة الحق وقمع صولة الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر كل مظلوم.

وهذا نموذج لتلك الوثيقة التاريخية المباركة نُقلت من كتاب «تاريخ حضرموت» لمؤلفه السيد صالح بن علي الحامد:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين

وحسبنا اللّه ونعم الوكيل

وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) « تاريخ حضرموت » لصالح الحامد (٢: ٧٥٠) .

تسليماً طيباً مباركاً فيه

هذا ما حضر عليه الحضور الشهود، بأن « آل باعلوي » نفع اللّه بهم اتفقوا وتراضوا جميعهم كبيرهم وصغيرهم حاضرهم سَادّ[1] غائبهم على أن يقوموا بالحق، على ما قال اللّه ورسوله بينهم، لهم وعليهم في جميع الأشياء تصير إلى الشيخ عمر ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف بن محمد بن علي بن علوي، وتراضوا أيضاً من بعد الشيخ عمر على عشرة منهم يدور «الشور»[2] بينهم في صلاح الشيء باللطف والإحسان من غير عنف ولا استكبار، وهؤلاء العشرة إشارتهم إلى الشيخ عمر ابن الشيخ ابن محمد بن علي علوي، والعشرة قد عليهم العهد والميثاق، وقد أشهدوا اللّه -سبحانه وتعالى- وملائكته وأنبياءه والصالحين من عباده وجدّهم الشيخ محمد بن علي المقدّم والشيخ عبدالرحمن والشيخ عمر وجميع المسلمين أنّهم عدول بين آل أبي علوي، ولا يخونون ولا يميلون على غير حق، على ما قال اللّه ورسوله في جميع الأشياء، وإن تصاوبوا العشرة على مصلحة شيء من الأشياء يرونه أنه أصلح لهم

---

(١) ساد، أي: قائم مقامه سدّ مسدّه.

(٢) الشور هو الشورى.

كان رأي العشرة يرجح، وما أشار به الشيخ عمر في المصلحة ماضٍ، والعشرة المذكورون هم:

١- الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف.

٢- الشيخ عبدالله بن علوي.

٣- الشيخ محمد بن عبدالله.

٤- الشيخ حسن بن شيخ.

٥- الشيخ حسن بن علي.

٦- الشيخ أبوبكر باحسن.

٧- الشيخ حسين بن علي.

٨- الشيخ علي باحسن المعلم.

٩- الشيخ محمد بن عمر.

١٠- الشيخ محمد بن علي.

وهؤلاء العشرة إذا مال أحد منهم على غير حق أو مات يبدل غيره من الباقين الذين يرضى الشيخ عمر مكانه.

وهؤلاء الضمناء المذكورون العشرة المقدمون في أول الكتاب الذين يدور عليهم « الشور » كل واحد منهم قد عاهدوه أصحابه المذكورين على ما قال الله ورسوله « له ولهم » لا يخالفونه، فإن

جرت مظلـــمة على أحد من العشرة ولـــم يقدر على إخراجهـــا كانوا جميعا آل باعلوي يقومون معه، وتكون اليد واحدة على مـــا قال اللّه ورسوله، ويذكون العهد الذي أخذ عنهم، وأهم تراضـــوا جميعهم على أهم يُخرجون صدقات مساجدهم جميعهـــا، نخيلـــها وذبورها وبيوتها وما تعلق بها على ما قال اللّه ورسوله، ومـــسجد «آل أبي علوي» تجمع صدقته جميعها الذي عند الشيخ عمر والذي عند آل محمد بن عبداللّه وعند آل علي بن عبداللّه وآل علي بـــن عمر وآل أحمد، وجميع ما كان له من الصدقة والفطور والـــموارد يخرج من جميع هذا المذكور خالصاً لوجه اللّه ورسوله، ومـــساجد الشيخ عبدالرحمن جميعها ومسجد باخطفان ومـــسجد الحبـــوظي ومسجد محمد باحسن المعلـــم ومـــسجد ســـرجيس ومـــسجد محمد بن عبداللّه ومسجد باحميد ومسجد النخل ومسجد ييحـــر وصدقته محمد بن علي في السوم وييحر، وهذه المساجد المذكورات يخرج كل واحد صدقته جميعها على ما قال اللّه ورسوله.

والرأي في هذه المساجد إلى اللّه ثـــم الشيخ عمر علـــى كـــل واحد منهن ناظر تقي لا يخون، وآل المساجد يتناظرون علـــى مـــا تراضوا عليه العشرة في مصالح المساجد على ما قال اللّه ورسولـــه

ثـــم إشارة الشيخ عمر، ما رأى الشيخ عمر فيه المصلحة فالكـــل تابعينه، وإن غاب يُقدم بإشارته المباركة أحدٌ من آل باعلوي الذين يروهم بالرأفة والرحمة واللطف والإحسان مـــن غـــير عنـــف ولا استكبار.

وإن جرى على أحد من آل أبي علوي مظلـــمة من قريـــب أو غيره بغير حق كان الشيخ عمر أن يهجـــره ولا يـــصافحه، وآل باعلوي جميعهم يتبعون الشيخ عمر بما فعل، واللّه يشهد على هـــذا المذكور جميعه وملائكته وأنبياؤه والصالحون من عباده على ما قال اللّه ورسوله.

وصلى اللّه على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلـــم، والحمد للّه رب العالـــمين. انتهت الوثيقة.

ثـــم تلت الوثيقة توقيعات الحاضرين من حكام وعلـــماء وبقية رؤوس بني علوي، وقد بلغوا واحداً وأربعين.

وبهذه الوثيقة الجامعة بدأت فعالية الشيخ عمر تـــسري علـــى مجتـــمعه، وتهيمن أشتات البيوت العلوية، لتصبح كتلة واحـــدة في السراء والضراء، ودخلت نقابة السادة العلويين مرحلةً جديدةً مـــن مراحل التأثير العلـــمي والعملي في تركيبات البيوت العلوية ذاتها،

ثـــم تركيبات الفئات الاجتـــماعية الأخرى.

كما اعتنى الشيخ عمر المحضار بضبط أحوال المريدين وطـــلاب العلـــم والاهتـــمام بتدريسهم ومعاشهم، وتوسعت في عهده دائرة الاستقبال للغرباء من أفجاج البلاد، فكان لهم نعم المربي والمعلم.

تلاميذه ومريدوه

اتسعت دائرة الأخذ والتلقي عن الشيخ عمر المحضار، وانتفـــع بعلـــمه المئات من كافة الأمصار، ولكن اعتناءه الكثير انصب على من يليه من دائرة تريم وما حولها، وتخرج به منهم الأفذاذ والأئمة، ومنهم الشيخ عبداللّه بن أبي بكر العيدروس[1] والشيخ علـــي بـــن أبي بكر والشيخ أحمد بن أبي بكر والشيخ عبداللّـــه ابـــن الفقيـــه

---

(١) ولد الشيخ عبداللّه بن أبي بكر في ذي الحجة سنة ٨١١ هـــ، وتوفي جده الشيخ عبدالرحمن وله من العمر نيف وثـــمان سنوات، وكفله أبوه أبوبكر حتى توفي وله من العمر عشر سنوات، وكفله بعد ذلك مع إخوته الشيخ عمر المحضار وقام بهم أفضل قيام، وتربى الشيخ عبداللّه على يديه حتى فتح اللّه عليه، وتوفي الشيخ عمر وله من العمر ثلاث عشرة سنة، وقد بنى بابنته عائشة في حيـــاة أبيهـــا وخلـــف وورث عمه عمر وهو به فرح مسرور. « العقد النبوي » (٢: ٤٤) .

علي بن أبي حرمي[1] والفقيه محمد بن علي بازغيفان [2]وغيرهم، ومن الشحر والمكلا والغيل ونواحيها كعَرَف وواسط وتبالة وغيرها تخرج به الكثير من تلك النواحي.

وكان العديد من رجال العلم والحكم والجاه لهم التعلق التام والعقيدة الحسنة في الشيخ عمر، فمن أولئك الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير، ذكره صاحب « صفحات من التاريخ الحضرمي » ص١١٠ وأشار إلى ذلك صاحب « الغرر » ص٣٠٤ في معرضِ عَتْبٍ من الشيخ عمر المحضار على الشيخ عبدالرحيم لما بلغه أنه -أي: الشيخ باوزير- حَوَّطَ حُوطة في الشحر فقال الشيخ عمر: ما لعبدالرحيم وللحوطة..إلخ . كما ذكره صاحب «الغرر» .

كما أورد صاحب «صفحات من التاريخ الحضرمي» ص١٠٣-١٠٤ علاقة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير وتعلقه الشديد بالمحضار، وكان من ذلك تزوج الشيخ عمر المحضار بأخت الشيخ المذكور فاطمة بنت الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير، وعاشت معه في تريم، كما سمّى الشيخ المحضار أحد أبناء

---

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٩).

(٢) « الغرر » ص ١٩٤.

الشيخ عبدالله باسمه وهو الشيخ عمر بن عبدالله بن عبدالرحمن باوزير.

وذكر أيضاً ص١١٩ علاقة الأمير جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر الكثيري جدّ السلطان بدر بوطويرق بالشيخ عمر المحضار فقال: وقد كان جدّه –أي: جد أبي طويرق– الأمير جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر معروفاً بالرأي الثاقب والاستقامة، وقد ضمّه يوما في حوطة سلطانة مجلس مع الشيخ عمر المحضار ابن عبدالرحمن السقاف، فاقترح هذا عليه أن يكون سلطاناً في بلدة «بور» المستعصية، وأكد له أن واليها قد تعب من ولايتها، وأنه يستطيع أن يقنع واليها بالتنازل عن الولاية لجعفر، ولم يزل بها سلطانا حتى تآمر عليه الظلفان فقتلوه سنة ٩٠٥ هـ.

الشيخ عمر المحضار وآثاره الشعرية

لسيدنا الشيخ عمر المحضار جملة من الآثار الشعرية ذات النمط الإنشادي المغنّى على أصوات الحضرة ومجالس السماع المعهود لدى أهل التصوف والذوق، ويمتاز النَّفَس الشعري بنورانية الرؤية وصفاء الوجدان وحرارة المعنى والتغني بالمآثر والمواطن والأطلال في

أسلوب رائق ومؤثر، مثل قوله:

يـــا مـــسيكينة الغنّـــا تـــريم حُرَّه أمسى لها كم من خليـــل

قد خلي منّها شـــقّ الـــسحيل والبويقي على ظفـــره شـــليل

يآل علوي ادركوهـــا كلكـــم قبل تعمى وتـــمسي بالـــدليل

يا أهل جمع التـــرب يااعيانهـــا انهضوا بادورا طـــاح القتيـــل

يالفقيه انهـــا مـــن ســـاحتك انما يحتـــمى الا كـــل أًصـــيل

عسرت هون اللّـــه عـــسرها ربنا اليـــوم للبلـــوى يزيـــل[1]

ويقول أيضاً:

ألا ياخيلنـــا صـــبراً شـــويه نعم يا خيلنـــا ظلّـــي وبـــاتي

عدمتـــم خيلنا ان لـــم تروها على سَوم الجُنينـــة مُلبَـــسَات

تريم امست لنا فرضـــا علينـــا ونحن اهل الكتب واهل القرات

نقاتل كل مـــن جانـــا إليهـــا ونحن كالأســـود الـــضاريات

ومن جانا وبايخـــضع حمانـــا نكثر في بلـــده الـــصاييات[2]

ويقول أيضاً:

(١) ديوان الحضرة ص٢١.

(٢) المصدر السابق ص٢٢.

ألا ياسفر لي جيــت فانــشد مــن حمــاهم

فباللّــه لــيس تلقــى في الــدنيا كمــاهم

ولا اطيب مــن معايــشهم وعــذب مــاهم

ولــو لي بخــت كنــت في المغنــا معــاهم

هم قــوام غــذو في المحبــة مــن صــغرهم

وعاشــوا في مخافــات وغــابوا في فكــرهم

ويسعد كل مــن كــان في عمــره نظــرهم

في البكــــرة صــــباحا في مـــــساهم

وهذا القول مني وهــو مــن حــسن ظــني

وان زليت يــارب بفــضلك فــاعف عــني

وتــرزفني الــشهادة علــى الإســلام ســني

ونمــشي في الطريقــه نتــابع في أثــرهم

وله أيضاً:

أهــــلا وســـهلا بحـــبي يا من ســكن وســط قلــبي

وفي الهــوى صــار حــسبي هــــذه مقــــادير ربي

ماحــد بُلــي قــط مثلــي أنــا العقيّــق في أهلــي

وقــــد عثـــرت بجهلـــــي   يـــاريح الاحبـــاب هـــبي
يـــامن نظـــر عـــرض قتبـــه   قـــد شـــم ريـــح المحبـــه
مـــن لـــــم يـــشم المحبـــه   فلـــيس لـــه قـــط طـــبّ
قلـــبي معلـــق معـــاهم   في أرضـــــهم او سمـــــاهم
ولـــيس عنـــدي كمـــاهم   عـــرّج بهـــم يـــوم غِبّـــي
كـــم لي أقلّـــب خـــصالي   أيامهـــــا والليـــــالي
الـــبر والبحـــر مـــالي   وزرعهـــم منـــه حـــبي
ياليـــت لي عـــين تنظـــر   أو عنـــدهم كنـــت أحـــضر
نرعى الجميل ثـــم نـــشكر   ونـــا مراعـــي ملـــبي[1]

وله أيضاً:

زاد شوقي إلى ســاحة تــريم   للـــمشايخ وخصّ أهل التُرب
نسل الاشراف لي شوقي لهـــم   نعم الاشراف سادات العـــرب
الرجاجيـــل منـــهم والنـــساء   أهل تلك اللطافـــه والنـــسب
مـــا بـــودّي نفـــارقهم أبـــد   غير ربي علـــيهم قـــد غلـــب
عمّر اللّـــه منـــهم مـــاخرب   لا ولا أراهـــم ربي تعـــب

---

(١) المرجع السابق ص٢٥.

من شـــنيهم فياليتـــه جـــذم	أو يخالطه في أيديـــه النكـــب
أو يصيبه غرام مـــن صـــحيح	وسط رجليه جدله من خشب
أو تقع له طعنـــه مـــن عـــدو	في خواصره من عرض المسب
أو تقع له سقطه مـــن بعـــير	راح حاركه من عالي القتـــب
والصلاة على الهادي البـــشير	مافي الليل نجم قـــد غـــرب[1]

وفي تريم يقول أيضاً:

ألا ياناز حـــا عـــن بـــلاد الطـــب مالـــك

فـــرح وارجـــع اليهـــا واجعلـــها حلالـــك

بها ترزق مـــن اللّـــه بهـــا توفيـــق حالـــك

تراك ان رحت منها فـــلا تـــرزق كمالـــك

لها مـــشموم كالـــمـــسك وزادوه بنفـــسج

وهـــي كالـــدر منظـــوم أو خـــطّ مُنَـــسج

وهي شربة من القلت صـــافي لـــيس خمـــج

تراك ان رمـــت تـــسعد فاجعلـــها حلالـــك

(١) المرجع السابق ص٢٧.

وقـــد خـــصت بـــأقوام حُـــضوا بالـــسرائر

هـــم انـــوار تعلـــو علـــى فـــوق المنـــابر

نجوا بالفضل ياصـــاح مـــن كـــل الكبـــائر

بهـــم ربي أفـــدني نـــوالا مـــن نوالـــك[1]

كرامات الشيخ عمر المحضار

سبق وأن أشرنا للقرّاء أن مادة الكرامات في هـــذه السلـــسلة المؤلفة لجيلنا المعاصر مؤجلة التناول، ذلك لأن غرضنا من إعـــادة كتابة التراجم مخاطبة العقل المعاصر بما هـــو مـــألوف، وليـــصل المتأخرون منا إلى قناعة تامة أن الأولياء بَشَرٌ عرفوا قيمـــة الوقـــت والعمر والدِّين، فوضعوا كل شيء في محله، ومَن وَضَعَ الـــشيءَ في محلّه بَرَزَ له سِرُّ الوقت والعمر والديانة، ولـــم يُغَلِّبُوا جانباً علـــى آخر، وإنما جعلوا أصل علاقتهم بالدين والدنيا مراد اللّه في الحالين، فجعلوا الدين غاية والدنيا وسيلة مع النظر إليها بعـــين الاحتقـــار والاستصغار.

---

(١) « الغرر » ص ٧٨.

وكثير من المعاصرين نشأت لديهم عقدة فكرية خطيرة عن الأولياء والصالحين، وذلك من خلال تركيز مدرسة الإعلام حملتها المتوالية ضدّ المدرسة التقليدية لاجتثاث مواقع تأثيرها، وكان بإمكاننا أن نجند الوقت لتعليل الحكايات المتعلقة بأخبار الكرامات لترضي بعض القراء، ولكن المرحلة لا تساعد على ذلك، فهي مادة على أهميتها مؤجلة التناول، ونأخذ بدلاً عنها المواقف ذات الصلة بإحياء السنة العملية التي دعا إليها صلى اللّه عليه وسلم أمته: «من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد» .

والكرامات ليست شرطا في الولاية، والتقوى هي الاستقامة، ولهذا فإن شروط الولاية والتقوى هي الاستقامة والأعمال الصالحة، وهذه مادتنا التي نهتم بإبرازها في هذه التراجم.

والمتأمل في ثمرات المؤلفات التاريخية والتراجم سيجد الواقع ذاته يفرض على الكاتب مجاراة الحياة المعرفية، واستعدادات المجتمع للمعروضات القلمّية، فالأوائل وقد تساوى في عصرهم العلماء والمحدثون والمجتهدون والأصوليون كان لابد حينها أَنْ تَبْرُزَ من بين هذه النماذج شخصياتُ الأفذاذ الراسخين، فكانت « الأحوال والمقامات والكرامات » من جهة،

وحيناً « الشطحات والعبارات الكشفية » من جهة أخرى ، وهي في واقع الحال لها ما يبررها عند الاحتكام إلى العلم تحت قاعدة التوسط بين الإفراط والتفريط.

فشيخنا الشيخ عمر المحضار نجد أن كافة كتب التراجم حشدت أخبار كراماته الخاصة والعامة حشدا يبرز موقعه العالي في الصلة باللّه، وحشدت أيضا أخبار كرامات غيره، ولا يخلو كتابٌ من الكتب القديمة من وصف كل مترجَمٍ بالخوارق ولو كان صوفياً خاملاً يكره الشهرة، فالإثبات كان مطلباً اجتماعياً تُوزَنُ به شخصيات الرجال عند الموازنة والمفاضلة.

ولا زال المحبون والمتعلقون بالشيخ عمر المحضار تَبْرُزُ لهم كراماتُه وآثار مقامه إلى اليوم كمثل غيره من أولياء اللّه، ولكن المعركة المعرفية اليوم تتركز أصلاً على مسألة « الكتاب والسنة » ، وسوق العرض والطلب يطرح هذين الأصلينِ مجرَّدَيْنِ عن ثمرات العمل بهما عند الأجيال، وانطوت هذه اللعبة الخطيرة على عقول النفعِيِّينَ المجرَّدِينَ عن اتخاذ الموقف الحق، وهذه هي مشكلتنا المعاصرة.

وحتى لا تطول بنا المحاورة في هذا الشأن أؤكد للقراء أن كثيراً

من الكرامات المكتوبة في المؤلفات تحتاج إلى وقفة جادة وتمحيص دقيق يتناسب مع عقليات زماننا، ولا يظلم الأوائل مقاماهم ومراتبهم، ويصحح مفهوم الأجيال المعاصرة بأسلوب وسط، لا إنكار بالكلية، ولا قبول لكل ما يكتب بالكلية، والفصل في التوثيق وصحة النقل.

وهذه مهمة ليست بالسهلة، ولكن اللّه سيُيَسِّرُها على من كَتَبَ له التيسير، واللّه الموفق.

وفاة الشيخ عمر المحضار

اتسعت دائرة النفع العام للمسلمين والنفع الخاص للمتعلقين والمحبين ولآل باعلوي أجمعين في عصر هذا الإمام الجامع محاسن الأوصاف، كما قال فيه صاحب « الغرر » ص١٩٦[1]:

فذاك الذي قد سَمَا في العُلا	إلى ذُرْوَةِ الفَخْرِ حتى فَخَرْ
هُوَ الليثُ حَقّاً تَرَى للعِدا	لَدَيْهِ ارتعادٌ إذا ما زَأَرْ
له صارمُ المجدِ صَمْصَامُهُ	إذا هَزَّهُ طارَ منه الشَّرَرْ
يَتُولُ إذا ما سَطَا سَطْوَةً	على الوَتْرِ أَلْقَاهُ شَفْعاً ومَرْ
ومَن ذُرْوَةِ العِزِّ خُصَّتْ لَهُ	ومَن نال ما عنه كُلٌّ حَسَرْ

ولم يزل هذا الإمام حجةَ اللّه على عصره وأهل مصره، قائماً فيهم بالعلم والعمل ونشر الفضائل وجمع الشمل وتفقد الأرامل واليتامى، وداعياً إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وحارساً أميناً على مهمات الطريق الموروثة عن آبائه وأسلافه قائما بها مجدداً لمعانيها راعياً لأتباعها، حتى ناداه منادي مولاه في أسعد الأوقات

(١) نقلاً عن « الجوهر الشفاف » (٢: ١٩٢).

وأشرف الساعات، وكان متوعكاً فسمع منادي صلاة الظهر ينادي بالأذان فقال: مرحبا بالقائلين عدلاً وبالصلاة أهلاً وسهلاً، وأجاب المؤذن ثم توجه إلى القبلة وأذن للصلاة، ثم أقام وأحرم وصلى وسجد، فخرجت روحه الزكية وهو ساجد، ولم يزل في السجود وهو ميت ولم يَنْحَنِ ولم يتحرك حتى استبطأه الحاضرون، فرفعوه فإذا هو قد فارق الدنيا، وذلك يوم الاثنين ثاني يوم من شهر ذي القَعدة سنة ٨٣٣ .

ونزل خبر موته على تريم وأهلها وعلى الوادي نزول الصاعقة، واحتشد المئات من الناس في جنازته وهو محمول على أكتاف أسرته ومحبيه وأهل مودته حتى مثواه الأخير بجوار أهله وأسلافه رحمه اللّه.

قال صاحب « الجوهر » :

سَقَى اللّه قَبْراً سَمَا وافْتَخَرْ	بجُثمانِ شَمسِ المعالي عُمَرْ
لقد ضَمَّ فيهِ إمامَ الهدى	أبا حَفْصٍ الليثِ ذا المشْتَهَرْ
صباحُ الظلامِ وغوثُ الأنامْ	رَفِيعُ المقامِ مُزيحُ الضَّرَرْ
كَرِيمٌ تَسَلْسَلَ مِن سادةٍ	كِرامٍ صَفَوْا عن مَشُوبِ الكَدَرْ
حَوَوْا سِرَّ أسرارِ خيرِ الورى	وفيهمْ سَرَى سِرُّهُ وانحدرْ

إلى أَنْ تَلَقّاهُ شَـيْخُ الـورى وصارَ لـه المعْـدَنُ المـسْتَقَرْ

تَشَعْشَعَ مِـن بَعْـدِهِمْ نجَمُـهُ ونارٌ فلـما تعـالى زَهَـرْ

فآهٍ على القوم قـد أَوْحَـشُوا وآه على فَقْـدِ تلـك الغُـرَرْ

وآهٍ علـى الـسَّيِّدِ المرْتَـضَى وما يَنْفَـعُ الآهُ بَعْـدَ القَـدَرْ

سلامٌ سـلامٌ علـى رُوحِـهِ مِنَ الواحدِ الفَرْدِ مُنْشِي الصُّوَرْ

فذاك الذي قد سَمَـا في العُـلا إلى ذُرْوَةِ الفَخْرِ حَتّ فَخَـرْ[1]

رحمه اللّه رحمة الأبرار، ونفعنا به وبعلومه في هذه الدار، وفي دار المثوبة والقرار. آمين .

(١) المصدر السابق.

الفهرس